



والصراع الإسلامي الصليبي في بداية الق

هرمز جزيرة صغيرة بيضاوية الشكل تقع في مدخل الخليج العربي على بعد ١٨ ك.م من الساحل الفارسي، في الجنوب الشرقي من بندر عباس ويبلغ طولها ٩ ك.م، وعرضها ٥,٨ ك.م، وهي شديدة الحرارة في الصيف، وتسقط عليها أمطار قليلة في الشتاء لا تتجاوز سبع بوصات، وترتبتها غير صالحة للزراعة بسبب ملوحتها، ونادرة المياه بها، ولذا يجلب السكان الماء إليها من بندر

الجزر

العناصر الجبري - السادس عشر الميلادي

بقلم : أ.د. شوقي الجمل

عباس والمناطق المجاورة لها في قرب تنقلها القوارب الصغيرة، وبالجزيرة عدد من الآبار الارتوازية لكنها لا تصلح لشرب الانسان، ولذا اتخذت الجزيرة طابعا تجاريا بحثا وجذبت اليها عدة عناصر لممارسة التجارة، فمعظم سكانها يشتغلون بالتجارة في التوابل والأرز، وبعض المعادن كالذهب والفضة، وكذلك الأقمشة الحريرية واللؤلؤ^(١).

وقد أدرك البرتغال أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية في الطريق التجاري بين الشرق والغرب أي بين آسيا وأوروبا فقد كانت التجارة تتبع أحد طريقين - طريق البحر الأحمر ومصر حتى موانئ البحر المتوسط، أو طريق الخليج الى الموانئ الشامية على هذا البحر، وبعد ذلك تقوم سفن جنوا أو البندقية بنقلها الى الموانئ الأوروبية، وظل الوضع هكذا حتى نجح البرتغال في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ووصلوا الى شرق القارة الافريقية والمحيط الهندي فعمدوا الى السيطرة على طريق التجارة التي كان يسيطر عليها العرب وعلى الموانئ والمراكز الهامة في هذه الطرق، كما حاولوا تحويل مسار التجارة للطريق الجديد الذي اكتشفوه بهدف أن تحل لشبونه وغيرها من موانئهم محل الموانئ القديمة فتصبح مراكز لتصريف تجارة الشرق بدلا من الموانئ التي كانت في أيدي المسلمين وتحت سيطرتهم فبعد أن نجح البرتغال في عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م في إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ووصلوا الى شرق القارة الافريقية ومياه المحيط الهندي،

إتجهت أنظارهم الى المراكز العربية لشرق القارة الافريقية والى البحر الأحمر والمحيط الهندي فبدأت صفحة من الصراع المريع بين هذه القوة الدخيلة على المنطقة وبين العرب الذين مارسوا النشاط فيها لقرون دون شريك ينافيهم السلطة فيها.

كما وصل البرتغال الى الهند، واستولوا على عدة مراكز على الساحل الغربي، وعين الملك البرتغالي عمانويل الأول (Don Manoel) أحد قواده فرانسيسكو دي ألميدا (Fransesco de Almeida) حاكما للمستعمرات البرتغالية في الهند وأتخذ هذا الحاكم ميناء كوشن مقرا له^(٢).

وفي هذا البحث سنلقي الضوء على صفحة من صفحات هذا الصراع الاسلامي الصليبي ودور هرمز فيه. ونشير في البداية الى الأسباب التي جعلنا نعتبر هذا الصراع العربي البرتغالي امتدادا للحروب الصليبية التي نشبت بين أوروبا والشرق الاسلامي والتي كان هدفها إنزال الهزيمة بالقوى الاسلامية والاستيلاء على الشام وإقامة امارات وممالك مسيحية فيها على رأسها مملكة بيت المقدس - فقد أسدل الستار على هذه

الحروب الصليبية منذ أربعة قرون قبل أن تبدأ البرتغال حملاتها الصليبية الجديدة.

وكانت البرتغال قد نجحت في القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي في تكوين مملكة مستقلة بعد تخلصها من النفوذ العربي، وحملت البرتغال لواء حركة دينية جديدة بهدف تعقب القوى الإسلامية التي نزحت من شبه جزيرة أيبيريا، والقوى الإسلامية الأخرى التي تساندها، وتطويقها، ووصلت أحلام البرتغال إلى السعي للإتصال بملك الحبشة المسيحي الذي اشتهر في أوروبا بأسم القديس يوحنا (prester John) وذلك بهدف الاشتراك في حركة تطويق للدول الإسلامية، والقضاء على مصدر قوتها الذي يتمثل في الدعم الإقتصادي والتمويل المادي الناتج من التحكم في تجارة الشرق، والسيطرة على شرايين الملاحة التي تنقل عبرها هذه التجارة إلى موانئ البحر المتوسط ثم إلى أوروبا^(٣).

ويبدو أن الحروب التي خاضها البرتغال ضد المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية والتي انتصروا فيها - أعطتهم دفعة قوية وأثارت فيهم

الحماس في الوقت الذي فترت فيه الروح الدينية والحماس الذي ساد أوروبا أيام الحروب الصليبية وأدى لهذه الحملات الغربية في تشكيلها وفي أهدافها التي وجهت للمشرق العربي. والدليل على أن الدافع الديني كان من أقوى الدوافع وراء حملات البرتغال الكشفية والاستعمارية أن الملك يوحنا ملك البرتغال - ووالد الأمير هنري الملاح - صرح بأن الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت المالك الفخار - هو ميدان الجهاد ضد المسلمين، وأنه سيتمنح أكبر وسام في بلاده لمن يجاهد في هذا الميدان، وكان هذا الشرف من نصيب هنري الإبن الثالث للملك، وكان إغداق الملك عليه بالرتب من دوافع إستخفافه بالمخاطر في سبيل تحقيق الهدف الذي أعلن عنه الملك.

يضاف إلى هذا أن هنري كان على رأس الجماعة التي عرفت باسم (جماعة الجزويت)، ونواتها بعض الفرسان الصليبيين الذين هربوا من جزر البحر المتوسط بعد تعقب المسلمين لهم فلجأوا إلى البرتغال من أمثال ديجو كام (Diego Cam) وبارثليمو دياز (Bartholemo Diaz)

الذي وصل الى الطرف الجنوبي من القارة الافريقية عند رأس الرجاء الصالح، وكذلك فاسكو داجاما (Vasco Da Gama) الذي تابع حركة الزحف فوصل الى الامارات العربية بشرق القارة والى الهند - محققة لهذا الدافع القوي - دافع تعقب القوى العربية وتوجيه ضربة قاتلة للعرب بالقضاء على احتكارهم لتجارة الشرق وبذلك يجف مورد ثروتهم وقوتهم المادية والعسكرية. وقد كان يصحب هذه الحملات البرتغالية، بعض رجال الدين المكلفين بالقيام بنشاط تبشيري في المناطق التي ترتهاها القوات العسكرية^(٤).

والدليل على أن الدافع الديني وراء الحركات الكشفية والاستعمارية البرتغالية والأسبانية بعد ذلك - أن البابوية باركت هذه الحركات، بل بادرت بالتدخل في فض النزاع بين الدولتين الاستعمارييتين - البرتغال وأسبانيا - خشية أن يؤثر هذا النزاع على نشاط الدولتين^(٥).

- كما تصدت لهم الدول الاسلامية الأخرى في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية.

ومنذ وصول البرتغال الى المحيط الهندي وضعوا خطتهم على أساس:

١ - الاستيلاء على المراكز العربية في شرق افريقيا.

٢ - الاتفاق مع الحبشة - للقيام بعمل مشترك ضد القوى الاسلامية.

٤ - الهيمنة على هرمز ذات الموقع الاستراتيجي الهام في الخليج العربي.

٥ - تحويل تجارة الشرق - تجارة آسيا - للطريق التجاري الجديد وللسيطرة عليها، لتكون لشبونه هي المركز الرئيسي لتصرف هذه البضائع الى أوروبا.

وترتبط خيوط هذه الخطة فالهدف النهائي منها بأبعادها المختلفة - هو كما أشرنا سابقا - توجيه ضربة قاسية للمسلمين بالقضاء على قوتهم الاقتصادية وزعزعة نفوذهم السياسي.

وفيما يتعلق بالمراكز العربية في شرق افريقيا - فالمعروف أن العرب جاءوا الى هذا الساحل الافريقي من شبه الجزيرة العربية، ومن الساحل الجنوبي وساحل الخليج العربي

بالذات - واستقروا في هذه المناطق الافريقية، وأصبحت لهم تجارة زاهرة، وكونوا إمارات عربية في شرق القارة شهد بتنظيمها وتحضرها من زارها من الرحالة العرب والأجانب على حد سواء، ومعرفة العرب بساحل افريقيا الشرقي قديمة - ولكن يرجع الاستقرار العربي الملحوظ هنا الى القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي^(١).

وإذا علمنا أن المسافة بين عدن وزنجبار لا تتجاوز ١١٠٠ ميل وبين مسقط وزنجبار ٢٢٠٠ ميل تقريبا - أدركنا أن الامتداد العربي لهذه الجهات الافريقية - كان شيئا طبيعيا، فالقبائل العربية في جنوب شبه الجزيرة العربية وفي مناطق الخليج العربي بالذات - أو كما عبر عنها كوبلاند - بالجيران (Nex Door Neighbours) - كان لا بد أن تمد نشاطها، وتجارتها، وتنقل حضارتها الى سواحل افريقيا الشرقية^(٢).

وبالاضافة الى عامل الجوار هناك عامل جغرافي مناخي آخر ساهم في هذا الوقت المبكر بالذات - في قيام هذه العلاقات بين العرب القاطنين على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة

العربية وعلى ساحل الخليج العربي وبين سكان السواحل الشرقية لأفريقيا، ففي ديسمبر تهب الرياح التجارية من الشمال والشمال الشرقي ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير، ومن إبريل إلى سبتمبر ينعكس اتجاه الرياح فتهب من الجنوب الغربي، وبذا أصبح التجار الذين يبدأون رحلاتهم في سفنهم الشراعية من الشاطئ العربي في الشتاء يستعينون بقوة الرياح المؤاتية في سفرهم جنوبا صوب الشاطئ الأفريقي بينما في أثناء عودتهم لأوطانهم في الربيع - بعد أن يكونوا قد قضوا بضعة شهور في التجارة - يجدون أيضا الرياح مؤاتية للاتجاه صوب الوطن الأصلي.

وبمضى الوقت أصبحت للتجار العرب خبرة تامة بمواقيت الرياح واتجاهاتها فأصبحوا ينظمون مواعيد رحلاتهم، ومدة إستقرارهم بالساحل الأفريقي تبعا لمواسم الرياح المعروفة لهم.

كذلك من الأسباب الرئيسية التي دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه الجزيرة العربية (العمانيون، والحضارمة على وجه

(الخصوص) - إنهم نشأوا في بيئة بحرية مثالية على سواحل شبه الجزيرة العربية، وكان ظهورها في ذلك الوقت طارداً - فكان طبيعياً أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا واستقروا في البداية في بعض الجزر الساحلية مثل مافيا، وزنجبار، وبمبا وفي المراكز الساحلية مثل سفالة، ومالندي، وكلوه، وممبسه، ودار السلام وإستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها ودمائها وأن تندمج مع السكان الأصليين ولاشك في أن الإستقرار العربي في الساحل الأفريقي المقابل للجزيرة العربية حدث بهدوء وبدون اللجوء إلى القوة أو العنف، فالتاريخ لا يذكر لنا حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين.^(٨)

وكان لسكان هذه المراكز نشاط تجارى كبير في غلات القارة الأفريقية، وفي مقدمتها المعادن. ومنها الذهب الذى كانت تجلبه القوافل من داخل القارة خاصة من مناطق المونوموتابا (Monomotaba) الى الساحل حيث يمكن نقله وتصريفه، هذا بالإضافة الى نشاط هذه الثغور في تسويق ما يرد لها سواء من بضائع ومنتجات الشرق

الأقصى أو الهند أو الجزيرة العربية مما يحتاج اليها الأفارقة.

ولما كان من أهداف البرتغال من رحلاتهم الاستكشافية في المبدأ - اكتشاف الطريق للشرق، وكسر احتكار العرب لنقل بضائع الشرق وفي مقدمتها التوابل - الى موانئ البحر المتوسط المصرية والشامية لسد حاجة الدول الأوروبية من هذه المنتجات - فقد أطلق البعض على الاستعمار البرتغالي في البداية تعبير (استعمار البهار) على أن البرتغال تطلعوا لأن يبسطوا نفوذهم على الساحل الشرقي لأفريقيا ويحلوا محل العرب في هذا النشاط التجاري المثمر^(٩).

ولتكتمل صورة هذا النشاط الذي أدى الى خروج العرب من شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج للساحل الأفريقي - لا بد من الإشارة الى الاستقرار العربي في السهول المحيطة بهضبة الحبشة بالذات إذ أن العلاقات بين حكام الحبشة وبين المسلمين الذين استقروا بالسهول المحيطة بالهضبة كانت عاملاً رئيسياً في تطلع الحبشة لمعاونة القوة المسيحية لها في أوروبا في نضالها ضد

المسلمين في السهول المحيطة بها، وكان وصول البرتغال لياه المحيط الهندي واتصالهم بالأحباش فرصة لتحقيق أحلام كل من الطرفين الحبشة والبرتغال.

فالهضاب الحبشية تترك بينها وبين ساحل البحر الأحمر أو المحيط الهندي سهولا فسيحة تغلب عليها الطبيعة شبه الصحراوية، وإلى هذه السهول نزحت جماعات من البدو ومن التجار من شبه جزيرة العرب واشتغلت بالرعي والتجارة، وانتشر الاسلام بينهم^(١٠).

وأدت الأحداث السياسية في الدولة الاسلامية الى زيادة الهجرة الى هذه المهاجر العربية، وتحدثنا المراجع عن بعض هذه الهجرات العربية في العصور المختلفة الى هذه المنطقة المحيطة بهضبة الحبشة - من ذلك ما حدث في عهد عبد الملك بن مروان ٧٥-٩٥هـ (٦٩٥-٧١٤م) فقد اتبع هذا الحاكم سياسة قبلية في شبه الجزيرة العربية - إذ استعان ببعض القبائل على البعض الآخر فأضطرت القبائل المغلوبة على أمرها الى الهجرة خارج شبه الجزيرة - ومن بينها قبيلة الازد العمانية التي هاجر أفراد

منها الى هذه المناطق المحيطة بهضبة الحبشة، فلما وصلت هذه القبائل الزيدية الى هناك وجدت أن أبناء عمومهم قد سبقوهم في هذه المناطق وتسألوا الى الداخل حيث اختلطوا بالسكان الأصليين وساهموا في نشر الاسلام في هذه الجهات^(١١).

وقد شهدت الفترة بين القرنين الرابع، والسابع الهجريين (العاشر، والثالث عشر الميلاديين) إزدهار المراكز الاسلامية التي قامت بالسهول المحيطة بهضبة الحبشة وزيادة عدد المستقرين بها، ومضاعفة نشاطها الاقتصادي - وقد أطلق المقرئزي عليها تعبير (ممالك الطراز الاسلامي)^(١٢).

والحقيقة ان الدور الذي لعبته هذه المراكز أو الممالك العربية الاسلامية في شرق افريقيا - في نشر الاسلام سواء في الحبشة ذاتها أو في غيرها من مناطق شرق افريقيا - يستحق الدراسة - فقد قامت بها مراكز تجارية توافد عليها التجار من هضبة الحبشة ومن غيرها من داخل القارة الافريقية، وكان التجار يقيمون في هذه المناطق الساحلية بعض الوقت، كما كان تجار الساحل يتوغلون

للدخل - وترتب على هذا الاختلاط انتشار الاسلام واللغة العربية.

وإذا كانت هذه الممالك العربية في شرق الحبشة لم تخضع - باستثناء فترات قصيرة - لحاكم واحد يفرض سلطانه عليها جميعا ويوحد جهودها في مواجهة الأخطار المحدقة بها سواء من حكام هضبة الحبشة أو من غيرهم - فإن التاريخ يشير الى أن بعض هذه السلطنات أو الممالك - كما يطلق عليها المقريري - استطاعت لفترة من الوقت أن تفرض سيطرتها على غيرها من السلطنات الاسلامية مثل (سلطنة شوه) التي أسستها أسرة عربية - أسرة بنى مخزم في جنوب شرق الحبشة، وكما ظهرت بين هذه السلطنات سلطنة أخرى هي (سلطنة أوفات) التي كان لها نفوذها في القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي بحيث استطاعت في عام ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م أن تهزم سلطنة شوه وأن تفرض سلطانها على باقي السلطنات بدلا منها^(١٣).

على أن ظهور هذه السلطنات الاسلامية، ونجاحها في اخضاع باقي السلطنات تحت نفوذها مما جمع القوى الاسلامية في المنطقة المحيطة

بهضبة الحبشة - أثار مخاوف حكام الحبشة.

وكانت الحبشة قد تغلبت على مشاكلها الداخلية واستطاعت الأسرة السليمانية^(١٤) فيها أن تحقق الوحدة الداخلية وشعرت هذه الأسرة بخطر هذه السلطنات الاسلامية النامية التي حققت نجاحا ملفتا للأنظار سواء في المجال السياسي - كما ذكرنا - أو في المجال الاقتصادي فقد سيطرت على التجارة الخارجية مع العالم الخارجي والمناطق الداخلية في الحبشة وغيرها من مناطق شرق افريقيا ووسطها عن طريق البحر الأحمر بالذات مما جعل موارد الحبشة وعلاقاتها مع الخارج في قبضة المسلمين، وأدى هذا لإختفاء المدن الحبشية التي كانت في الماضي مزدهرة بالتجارة ومنها مدينة أكسيوم التي فقدت أهميتها بامتداد النشاط العربي على ساحل البحر الأحمر وسيطرة العرب على طرق القوافل بين ساحل البحر الأحمر والداخل.

وقد كان الأحباش يتابعون الصراع الاسلامي الصليبي في الشام - لكن وقوع عكا آخر معاقل الصليبيين في عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م في يد السلطان

المتحركة على حدود الهضبة
الحبشية أو القوى الإسلامية في
الشرق العربي وفي شبه الجزيرة
العربية.

وبعد أن نجح البرتغال في الوصول
إلى شرق القارة الأفريقية بعد اكتشاف
طريق رأس الرجاء الصالح - أرسلوا
في عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م أسطولاً
«كبيراً» من ثلاث وعشرين سفينة
غادر ميناء لشبونة تحت قيادة
فرانيسكو دي الميدا بغرض تثبيت
أقدام البرتغال في الأماكن الهامة
بالساحل الشرقي للقارة الإفريقية
خاصة المناطق الإستراتيجية التي
تتحكم في الطريق التجاري الجديد
والتي - كما ذكرنا - كانت السيادة
التامة فيها للعرب الذين كانوا يعملون
كوسطاء ينقلون منتجات الهند
وغيرها من البلاد الآسيوية إلى
أفريقيا، وكان العرب قد وصلوا من
زمن بعيد إلى الصين واحتكروا لقرون
هذا النشاط التجاري.

وقد أرسل القائد البرتغالي بعد
دخوله إلى المحيط الهندي قوة إستولت
على سفالة، وحاصرت كلوه واستولت
عليها بعد قتال عنيف وتعرضت
المدينة لأعمال النهب والسلب، وأشعل

خليل أنهى صفحة هامة من هذا
الصراع - وإن كان لم يمهت تماماً أحلام
الصليبيين الخاصة بالعودة إلى بيت
المقدس.

وتشير الوثائق التاريخية إلى أن
الاتصالات بين ملوك الحبشة
والبابوية من جهة وبين ملوك
الحبشة، وملوك أوروبا من جهة
أخرى كانت مستمرة بهدف مساهمة
الأحباش في الحروب الصليبية،
ومساندة القوى المسيحية من جهة
أخرى للأحباش في حربهم ضد
المسلمين، وقد لعب الرهبان الأحباش
المقيمون في الدير الذي عرف بدير
السلطان في القدس دوراً في الاتصال
بين ملوك الحبشة وباباوات روما
وملوك أوروبا لتحديد الدور الذي
يمكن أن يقوم به كل طرف -
الأحباش والدول الأوروبية في
الحروب الصليبية^(١٥).

هذا على أن الحبشة وإن كانت لم
تستطع أن تلعب دوراً هاماً في
الحملة الصليبية على الشام - لكن
وصول البرتغال إلى المحيط الهندي
فتح الباب على مصراعيه أمام تحقيق
هذا التعاون الحبشي الأوروبي في هذا
الصراع ضد القوى الإسلامية سواء

البرتغال فيها النار إنتقاما من أهلها الذين قاوموا الغزو البرتغالي لبلادهم ببسالة - وأقام البرتغال حصنا بالميناء تركوا به حامية لهم، ثم تقدموا صوب ممبسه، وقد كانت في ذلك الوقت مدينة عظيمة قدر عدد سكانها بعشرة آلاف نسمة، وقد قاوم سكانها من العرب السواحلية القوة الغازية مقاومة عنيفة، ودافعوا عن كل شبر من أرض بلادهم حتى انتقل القتال إلى الشوارع الضيقة وداخل الدور - لكن أضطر الأبطال المدافعون أخيرا للتقهقر تاركين مدينتهم التي أشعل العدو فيها النار أيضا انتقاما من بطولة أهلها، وساعدت شدة الرياح في ذلك الوقت على سرعة إنتشار اللهب فأتى على كل شيء - حتى أن شيخ المدينة المنكوبة كتب إلى زميله حاكم ماليندى - يصف كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم إليها بعد أن نهبها الغزاة البرتغاليون، وتركوها للنيران فقال لم يتركوا فيها أي كائن حى لا رجلا، ولا امرأة، لا صغيرا ولا كبيرا - حتى الأطفال، فكل الذين فشلوا في الهروب قتلوا أو أحرقوا.. وختم خطابة بتحذيره من هذا الخطر الزاحف^(١٦).

وفي سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م أرسل

أسطول برتغالى آخر من أربعين سفينة تحت قيادة القائد الفونسو دي البوكيرك (Alfonso De Albyquerque) فاستولى على لامو، وبراو، وعلى جزيرة سومطره.

وقد قدر البرتغال أهميتها الاستراتيجية فبنوا بها حصنا قويا ليكون قاعدة دائمة لعملياتهم البحرية في المحيط الهندي.

وفي سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م سقطت موزمبيق في يد البرتغال واهتموا بتحصينها وبنوا فيها مستشفى وكنيسة بالإضافة الى ثكنات لجيوشهم، واتخذوها قاعدة عسكرية لحكمهم في الساحل الافريقي الشرقي، وزار البرتغاليون مدغشقر (مالاجاشي)، كما اكتشفوا جزيرة سنت هيلانة، وامتد نفوذهم على الساحل الشرقي حتى سفالة جنوبا، أما في الشمال فقد اعتمدوا في بسط نفوذهم على صداقة شيوخ مالندي الذين استطاعوا أن يستميلوهم الى جانبهم بعد أن قدموا لأول مرة للساحل الشرقي للقارة مستغلين روح العداء التي كانت بين هؤلاء الشيوخ، وشيوخ ممبسه، وأقام البرتغاليون في ممبسه بعد سقوطها في أيديهم قلعة

حصينة كانت بمثابة العين الحارسة للنفوذ البرتغالي في هذه المنطقة، وكان لقائد هذه القلعة وكلاء في الموانئ المجاورة مثل كلود، وبمبسا، وزنجبار^(١٧).

واتجه البرتغال بعد ذلك للسيطرة على البحر الأحمر وتحويل التجارة التي اعتادت أن تمر بهذا البحر في طريقها الى السويس ثم برا الى موانئ البحر المتوسط لتنتقل الى الأسواق الأوروبية - الى الطريق الجديد - طريق رأس الرجاء الصالح.

وكان استيلاء البرتغال في عام ٩١٣هـ / ١٥٠٧م على جزيرة سوقطرة بموقعها الاستراتيجي الهام في مدخل البحر الأحمر - خطوة هامة في سبيل تحقيق أهدافهم في التحكم في هذا البحر والتجارة المارة به.

واتجهت أنظار البرتغال بعد ذلك الى ميناء جده، وقد أدرك الممالك أهمية حماية هذا الثغر، وذلك لحماية الأراضي المقدسة الاسلامية من أطماع البرتغال - فأرسلوا حملة بحرية على رأسها الأمير حسين الكردي، وقد حددت مهمة هذه الحملة في:^(١٨)

١ - بناء سور ضخمة ذي أبراج عالية حول جده لصد أي عدوان تتعرض له

من البرتغاليين أو غيرهم، وحفر خندق يحيط بالمدينة من جميع جهاتها.

٢ - الاطمئنان على ثغور البحر الأحمر الأخرى، وفي مقدمتها سواكن على الساحل الافريقي، وعدن على الشاطئ الآسيوي، لمواجهة أي خطر تتعرض له.

٣ - التوجه الى الهند لمحاربة البرتغاليين، وإجلائهم عن المراكز التي نزلوا بها في الشواطئ الهندية.

وقد حققت حملة الأمير حسين الكردي أهدافها، فأنجزت عملية تحصين جده وغيرها من ثغور البحر الأحمر، فقد قامت بمعينة ثغور جيزان، وكمران، ومخا، وعدن وزودتها بحاجتها من المؤن وغيرها.

والتقى الاسطول المملوكي بالقرب من ميناء شول الصغير في عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م باسطول برتغالي مكون من ثمان وستين سفينة وساهم الاسطول الكراني الى جانب الاسطول المملوكي فنشبت بين الطرفين معركة بحرية انتصر فيها الاسطول المملوكي. وقد أشار ابن إياس الى هذه المعركة فقال جاءت الأخبار بأن العسكر الذي توجه نحو

كان يدرك النتائج الخطيرة التي ستترتب على زعزعة النفوذ السياسي والتجاري للمسلمين في المحيط الهندي والطرق المتفرعة منه - ولذا إتصل السلطان المملوكي بكل من يمكن أن يقدم له العون في هذه المعركة الحاسمة - إتصل بالسلطان بايزيد الثاني سلطان العثمانيين، كما اتصل بالبندقية وكانت مصالحها الاقتصادية تقتضي استمرار الطرق التجارية السابقة لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح. وقد قدمت الدولة العثمانية فعلا لمصر المملوكية من الآلات والأسلحة النارية وحتى الحبال معونة هامة كهدية - رغم ما كان قائما من منافسة بين الدولتين المملوكية والعثمانية - كما أرسلت البندقية الصناع والمهندسين وغيرهم للمساهمة في صنع السفن لمواجهة الخطر البرتغالي^(١٩).

وأنشأ الغوري ترسانة بحرية ضخمة في السويس بالإضافة الى دور لصناعة احتياجات السفن في كل من الروضة، وبولاق، وهكذا كان كل طرف من الطرفين على استعداد للمعركة الحاسمة. وفي سنة ٩١٥هـ / ٨ فبراير

بلاد الهند صحبة الأمير حسين - قد انتصر على الفرنج الذين كانوا يعيشون في البحر، وغنم منهم العسكر غنائم كثيرة، فسر السلطان لهذا الخبر، وأمر بدق الكرسات فدقت ثلاثة أيام متوالية، ثم حسنا أرسل يطلب عسكريا ثانيا حتى يتقوى بهم على من بقى من الفرنج^(٢٠).

على أن الطـرفين - المسلمين والبرتغال - كانا يعلمان أن الموقف لم يحسم نهائيا فكان كل منهما يستعد للمعركة الفاصلة القادمة، خاصة أن البرتغال أحسوا بالخطر المحدق بهم وبالمكاسب التي حققوها بعد وصولهم للمحيط الهندي - من اتجاه بعض الولايات على الساحل الغربي للهند لمؤازرة العرب في مقاومتهم للنشاط البرتغالي في هذه المياه التي دخلتها سفنهم أخيرا^(٢١).

ولذا أعد فرانسيسكو دي ألميدا نائب الملك في الهند أسطولا من تسع عشرة سفينة زودها بمعدات القتال المختلفة استعدادا للمعركة المرتقبة ضد الاسطول المملوكي.

كما أن السلطان المملوكي قانصوة الغوري إستعد هو الآخر للمعركة الفاصلة مع الاسطول البرتغالي - فقد

١٥٠٩م التقى الأسطولان المملوكي والبرتغالي عند ديو في معركة فاصلة - إنهزم فيها الاسطول المملوكي - وقد تعددت آراء المحللين عن أسباب هذه الهزيمة الحاسمة التي لحقت بالاسطول المملوكي، فقد عللها البعض بأن البرتغال كانوا في عنفوان قوتهم، وفي قمة مجدهم العسكري والبحري، وكانت لهم مدارسهم البحرية التي أسهمت في تطوير نظامهم البحري والعسكري، وأنهم كانوا مدفوعين بدوافع دينية واقتصادية عنيفة، بينما كانت دولة الممالك دولة هرمة أنهكتها الصراعات المتعددة في أنحاء مختلفة من الدولة، وأن قوتهم البحرية التي جمعوها لمواجهة هذا الخطر البرتغالي كانت من عدة جهات ولم يكن قد مضى وقت كاف لخلق التجانس الضروري بين هذه القوات التي ستخوض معركة واحدة ومهما تكن الأسباب فقد كانت نتائج المعركة أكثر مما يتوقع الذين شعروا بهذا الخطر الوافد على المياه العربية من دولة أوروبية صغيرة بعيدة كل البعد عن هذه المياه التي كانت السيطرة فيها لسنوات عديدة - للعرب دون منازع. فقد أنهت هذه المعركة عهد

السيطرة الإسلامية على طرق التجارة في المحيط الهندي ونجح البرتغال في السيطرة على هذه التجارة وحولوا مساراتها وحاولوا العبث في مياه البحر الأحمر وفكروا في اغلاق هذا البحر أمام حركة الملاحة النشطة التي كانت فيه بحيث يصبح بحيرة راكدة.

أما دي ألميدا - قائد الاسطول البرتغالي - فقد ارتكب بعد هذا النصر الذي حققه اسطوله - فظائع تتنافى مع مبادئ الحرب والقتال، بل مع أبسط المبادئ الإنسانية - فقد عامل الأسرى بمنتهى الفظاعة فعذب وقتل وأعدم من لم يصبحوا موضع خطر بالنسبة له - حتى أن سياسته هذه قد تعرضت لنقد الكتاب البرتغال أنفسهم.

وقد لقي دي ألميدا مصرعه بعد ذلك - وهو في طريقه الى لشبونه مزهوا بنصره - وخلفه كنائب للملك البرتغالي في الهند الفونسو دي البوكيرك (Alfonso De Albyquerque).

ومن النتائج المباشرة التي تترتب على انتصار البرتغال على الأسطول المملوكي في معركة ديو البحرية - أن حكام الإمارات الهندية الذين كانوا

أبدوا تعاطفا مع المسلمين في نضالهم ضد الدخلاء البرتغال والذين كانوا يتطلعون لانتصار القوى الإسلامية المملوكية - اضطروا لإبداء إستعدادهم للتصالح مع البرتغال وتقديم العون لهم - وقد رحب البرتغال بذلك لأنه يتيح لهم الفرصة لتقوية نفوذهم في مياه المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي والساحل العماني التي تركزت عليها أنظارهم باعتبارها تمثل التوأمة لمنطقة البحر الأحمر التي تتحكم في التجارة الشرقية الزاهية لأوروبا.

على أن البرتغال لم تكتف بنقل التوابل وغيرها من بضائع الشرق التي كان العرب يمارسون نشاطهم في تبادلها. لكن تحول الأمر إلى أن أصبحت السلعة المتداولة بكثرة والتي تتحكم في المراكز والحصون البرتغالية - وفي سياستهم الإستعمارية هي العاج الأسود بالإضافة إلى البضائع الأفريقية الأخرى كالذهب والعاج - ومنذ أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أخذ البرتغال يرسلون شحنات متتالية من الرقيق - وقد حدد عدد الرقيق الذين بيعوا في سوق لشبونة في ١٥١٠ بحوالي

١٠,٠٠٠ عبد.

وقد أحتكر البرتغال ولعدة قرون هذه التجارة - فأصبحوا يزودون الدول الأوروبية الأخرى المستعمرة بحاجتها من الرقيق وتكونت شركات برتغالية بقصد الإتجار في الرقيق، وحصلت هذه الشركات على مراسيمهم بمزاولة هذا النشاط التجاري من البلاط الملكي البرتغالي^(٢٢).

وقد اهتم ألبوكيرك بإحتلال جزيرة جوا (Goa). بالذات لأهميتها للبرتغال للسيطرة على باقي المراكز على الساحل الغربي للهند، وتبع ذلك موافقة سلطان كجرات للبرتغاليين على إقامة محطة تجارية وحصن لهم في ديو، وبالفعل عقد ألبوكيرك إتفاقا مع سلطان كاليكوت سمح لهم بموجبه بإقامة حصن فيها، وبعد أستيلاء البوكيرك على جوا نقل مقر إدارته في الهند إليها لتوسط موقعها على ساحل الهند الغربي، وهكذا ثبت البوكيرك نفوذ البرتغال على الساحل الهندي وأخذ يوجه جهوده لتحقيق باقى أحلام البرتغال في المحيط الهندي والبحار المؤدية إليه^(٢٣)

وتعتبر فترة نشاط ألبوكيرك في هذه المنطقة والتي تمتد من ٩١٥ هـ /

١٥٠٩م عندما عين نائب للملك في كوشن حتى وفاته في الهند في أواخر عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م - من أهم المراحل في تاريخ هذه المنطقة، وقد نجح البرتغال في تحقيق أحلامهم الخاصة بتثبيت نفوذهم في الممالك الهندية على الساحل الغربي للهند - كما نجحوا في السيطرة على منافذ الخليج العربي والبحر الأحمر وفي ساحل أفريقيا الشرقي.

وإتصل ألبوكيرك بالإمبراطورة هيلينا الوصية على عرش الحبشة وحضها على إرسال مندوب عنها لمقابلة ملك البرتغال دون عمانويل للإتفاق على عمل مشترك ضد الأقطار العربية - وفعلا أوفدت الملكة في عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢م أحد اتباعها ويدعى ماتيوس إلى الهند لمقابلة ألبوكيرك، وقد زود ماتيوس ألبوكيرك بمعلومات قيمة عن الممالك العربية على الساحل الشرقي لأفريقيا وفي السهول المحيطة بهضبة الحبشة، وقد سهل ألبوكيرك مهمة سفر ممثل ملكة الحبشة إلى البرتغال - لكن هذا المندوب الحبشي لم يعد للحبشة إلا في عام ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م بسبب العقبات التي صادفته في الطريق، وقد كان

الهدف الرئيسي من رحلته الحصول على موافقة الملك البرتغالي على تقديم المساعدة الحربية للحبشة لمواجهة النشاط الإسلامي في المحيط الهندي والبحر الأحمر، ولمؤازرة الحبشة في حروبها ضد الممالك الإسلامية في السهول المحيطة بهضبة الحبشة.

وأشير إلى أن هذه الممالك الإسلامية في شرق هضبة الحبشة والتي أطلق عليها المقريزي تعبير (ممالك الطراز الإسلامي) - كانت لها علاقات وطيدة مع حكام المسلمين وسلاطينهم خاصة في اليمن ومصر، ومع أشرف مكة، وهذا التأييد من حكام المسلمين وسلاطينهم كان من العوامل التي جعلت الحبشة تسعى للإتصال بالبابوية في روما، وبالملوك المسيحيين في أوربا لتقديم المساعدة الحربية لها، ولالإتفاق على خطة لتطويق العالم الإسلامي، وكان وصول البرتغال إلى المحيط الهندي فرصة لتحقيق هذه الأحلام الحبشية^(٢٤) أما فيما يتعلق بالبحر الأحمر والمنافذ المتحكمة في الملاحة فيه - فقد اتجه البوكيرك للاستيلاء على عدن لإدراكه أهميتها لتحكمها في الملاحة في البحر الأحمر. وقد أرسل في عام ٩١٨هـ / ١٥١٢م

رسالة الى الملك دون مانويل يستأذن في مهاجمة عدن والسواحل اليمنية ثم الابحار بعد ذلك في البحر الأحمر للاستيلاء على الموانئ الهامة المطلة على هذا البحر، وفي خطابه للملك أشار البوكيرك الى الشائعات التي تتردد عن قرب عودة الاسطول المملوكي للبحر الأحمر والمحيط الهندي للانتقام مما لحق بالأسطول المملوكي من هزيمة في موقعة ديو البحرية، وقد أدت هذه الشائعات الى انتشار الاضطرابات في الهند ضد النفوذ البرتغالي، كما أشار البوكيرك في خطابه الى أهمية الاتفاق مع الحبشة على تيسير استخدام الاسطول البرتغالي لموانئ مصوع وغيرها من الموانئ الحبشية الصالحة لرسو السفن، وذلك للاستفادة منها في الحملات الموجهة ضد جده والموانئ الاسلامية الأخرى في شبه الجزيرة العربية^(٢٥).

وبمجرد تسلم البوكيرك لرد الملك البرتغالي بالتصريح له بالقيام بحملته هذه في البحر الأحمر وموانئه غادر في عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م ملقا على رأس اسطول كبير من ٢٤ سفينة على ظهرها ١٧٠٠ مقاتل برتغالي، و ١٠٠٠ من الهنود متجها الى عدن

والسواحل اليمنية بهدف الاستيلاء عليها واغلاق باب المندب في وجه السفن المملوكية.

وفي ١٦ محرم ٩١٩هـ / ٢٤ مارس ١٥١٣م بدأ الاسطول البرتغالي هجومه على ميناء عدن - بعد أن قام بعملية تخريب ونهب السفن الراسية في الميناء.. ولم يستطع البوكيرك البقاء في الميناء - لأن حاكم المدينة استنجد بباقي موانئ ومدن شبه الجزيرة العربية واستبسل في مقاومة الغزاة.

وبعد أن قام البرتغال بتخريب وتدمير ما وصلت اليه أيديهم تقدموا في البحر الأحمر الى جزيرة مكران فاحتلوها، وقضوا على مظاهر الحياة بها وتركوها خرابا - لكن لم يتمكن البوكيرك من الابحار شمالا في اتجاه جده بسبب الرياح فعاد الى الهند.

واتجه البوكيرك بأنظاره الى جزيرة هرمز وكانت قد حدثت بها أحداث أدت لجلاء البرتغاليين عنها - وقد كان يحكم الجزيرة حاكم يدعى سيف الدين يدين بالولاء للشاه اسماعيل الصفوي، كما كان مرتبطا مع البرتغال بمعاهدة سمح لهم بمقتضاها باقامة قلعة في الجزيرة رفعوا عليها العلم البرتغالي - مما أثار

ضباط جيشه واستطاع أحدهم (الريس حامد) أسر الحاكم وتسلم الأمور بالجزيرة - وفي عام ٩٢١هـ / فبراير ١٥١٥م أقلع البوكيرك من جوا بالهند على رأس اسطول من ٢٦ قطعة بحرية عليها ١٥٠٠ مقاتل برتغالي، و ٧٠٠ هندي متجها الى هرمز.

وعند وصول السفن البرتغالية الى الميناء أطلقت مدافعها على المدينة - مما دعا الريس حامد لطلب وقف اطلاق النار والتفاوض، وعاد البرتغاليون لاحتلال القلعة بالميناء ورفعوا العلم البرتغالي على قصر الحاكم، ووصل مندوب عن الشاه اسماعيل من ايران وتوصلت الأطراف المتفاوضة الى اتفاقية تقضي بما يلي:

١ - تعاون البحرية البرتغالية القوات الايرانية في الاستيلاء على البحرين والقطيف، وهو هدف كانت ايران تسعى لتحقيقه.

٢ - تساعد البحرية البرتغالية الشاه في قمع الحركة الانفصالية التي اشتدت ضد الدولة في اقليم مكران، ولتحقيق ذلك تحتل البرتغال جوارر.

٣ - قيام تحالف عسكري بين الطرفين لمواجهة العثمانيين.

٤ - يعين البرتغال نائبا عن الملك البرتغالي يقيم في القلعة البرتغالية في هرمز.

وعين البوكيرك ابن أخيه بيرو (Bero) قائدا لمرفأ هرمز وأعطى تعليماته بإصلاح القلعة وزيادة تحصينها.

وهكذا نرى ان ايران (الدولة الصفوية) في سبيل كسب حليف لها ضد العثمانيين الذين كانوا قد أخذوا يظهررون كقوة اسلامية كبرى في العالم العربي سلموا بتبعية هرمز للبرتغاليين.

ونشير الى أن جزيرة هرمز عانت منذ ذلك الوقت من مشاكل اقتصادية رغم موقعها الاستراتيجي والتجاري الهام وهذا بسبب خضوع حكامها للبرتغال، والتعهد بدفع مبالغ طائلة لهم للمساهمة في نفقات حاميتهم بالجزيرة، والقلعة البرتغالية بها التي أصبحت من أقوى القلاع البرتغالية في الطريق التجاري الهام بين الشرق وأوروبا، وظلت كذلك حتى عام ١٠٣٢هـ / ١٦١٥م^(٢٦).

وبعد أن نجح البوكيرك في توطيد نفوذ بلاده في هرمز - ترك ابن أخيه ل يتم تحصين القلعة بها - حسب

الاتفاق الذي عقده مع الايرانيين،
وقفل عائدا الى الهند على السفينة فلور
دا روسا (Flor Da Rosa)، وكانت حالته
الصحية قد تدهورت نتيجة الجهد
الذي بذله منذ أن عين نائبا للملك في
الهند في ٩١٥هـ / ١٥٠٩م. وبعد
وصوله الى جوامات في عام ٩٢١هـ /
ديسمبر ١٥١٥م بعد أن أُلقيت
السفينة مراسيها في الميناء - وهكذا
أسدل الستار على حياة هذا البحار
البرتغالي والإداري الذي يعتبر
المؤسس الرئيسي للإمبراطورية
البرتغالية في آسيا.

وإذا كان البوكيرك لم يحقق كل
أحلامه فلم يوفق في الاستيلاء على
عدن والابحار في البحر الأحمر
لمهاجمة الموانئ الهامة وفي مقدمتها
ميناء جده - لكن لاشك في أن تقاريره
التي بعث بها في خطابات له الملك البرتغال
بعد جولاته - كانت من أهم ما
أسترشدت به البرتغال في رسم
سياستها تجاه البحر الأحمر والخليج
العربي والمناطق الهامة في هذه البحار
التي كانت - سابقا قبل أن يصل إليها
البرتغال ويعكروا صفو النشاط
التجاري بها - بحارا عربية لا تجرؤ
على أن تمخر عباها أية سفينة

أوروبية.

وأهم ما أبرزه البوكيرك في خطابه
للملك دون عمانويل^(٢٧)

١- ضرورة تقوية قبضة البرتغال
على المواقع الهامة في البحر الأحمر
والخليج العربي وفي مقدمتها عدن عند
مدخل البحر الأحمر، وهرمز في
الخليج العربي.

٢- أهمية القضاء نهائيا على
ما تبقى من قوة الممالك البحرية -
رغم هزيمتهم في موقعة ديو البحرية
- فقد أشار إلى الشائعات التي تتردد
في الهند بالذات عن حملات مملوكية
جديدة تعد لتوجه ضد البرتغال،
وذكر أن هذه الشائعات تشجع
المتمردين على النفوذ البرتغالي سواء في
الهند أو غيرها من المناطق التي استولى
عليها البرتغال في البحر الأحمر
والمحيط الهندي.

٣- أشار إلى أهمية التعاون مع
الحبشة للاتفاق على خطة موحدة ضد
المسلمين، وفي هذا المجال أشار إلى
أهمية ميناء مصوع التابع للحبشة،
وأهمية جزر دهلك التابعة لها أيضا
والمواجهة لجدة.

٤- كذلك أشار إلى أهمية مؤازرة
الحبشة في حربها ضد القوى

الإسلامية المتمركزة في السهول المحيطة بالحبشة.

٥- أشار إلى إمكانية مساندة البحرية البرتغالية للقوات الإيرانية لتثبيت أقدامها في هرمز والاستيلاء على البحرين والقطيف والقضاء على الحركات الانفصالية في إقليم مكران - وذلك في مقابل قيام تحالف بين الطرفين - البرتغال والإيرانيين، على أن يسلم الشاه للبرتغاليين بحقهم في تقوية نفوذهم في القلعة المقامة في هرمز، وأن يدفع حاكم هرمز مبلغاً من المال للبرتغاليين اعترافاً بالتبعية لهم.

٦- أو ضح أهمية الربط بين النفوذ البرتغالي في موانئ ساحل الهند والنشاط في الخليج العربي، والبحر الأحمر - مما يحقق للبرتغال السيطرة الكاملة على الملاحة في هذه المنطقة ويمكنهم من التحكم في تجارة الشرق، وإنهاء الإحتكار الذي كان المماليك يمارسونه ويمكن بذلك

توجيه هذه التجارة إلى لشبونة أو غيرها من الموانئ البرتغالية لتصبح المركز الأساسي لتخزين هذه البضائع ونقلها بعد ذلك إلى الدول الأوروبية التي تحتاجها.

لقد رسم البوكيرك الخطوط العريضة للسياسة البرتغالية والنشاط البرتغالي في منطقة البحر الأحمر والخليج العربي، وبموته في منتصف ديسمبر ١٥١٥م تطوى صفحة هامة من تاريخ هذا النضال بين القوى الصليبية الجديدة المتمثلة في البرتغال - وبين القوى الإسلامية التي كان لها النفوذ لسنوات طويلة في هذه الشرايين الملاحية الحيوية، وإذا كانت الضربات البرتغالية الموجهة للبحرية المملوكية وحلفائها قد نجحت إلى حد كبير في أضعاف المماليك وحرمانهم مما كانوا يحصلون عليه من مكوس من بضائع الشرق المارة بموانئها - فإن الدولة العثمانية التي حلت محل المماليك في الشام ومصر

أ. د. شوقي الجمل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية
بجامعة القاهرة

الهوامش

- (١) مصطفى عقيل الخطيب : التنافس الدولي في الخليج العربي (بيروت عام ١٩٨١) ص ١٧، ١٨٠
- (٢) ج.ج. لوريمر: دليل الخليج القسم التاريخي - إعداد قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر ج ١، ١١، ١٢.
- (٣) عبدالمملك عودة: السياسة والحكم في أفريقيا - القاهرة ١٩٥٩ م.
- (٤) لمن يريد معلومات أكثر عن نشاط هذه الحملات البرتغالية يرجع إلى:
James: Portuguese Africa (London 1951)
- (٥) فض النزاع من البرتغال، والاسبان على أساس معاهدة تورديسيلاس (Tordesillas) التي بمقتضاها اقتسم الاسبان والبرتغال العالم خارج أوروبا - فيما بينهما، فكان من نصيب الاسبان الأمريكتان ما عدا البرازيل أما أفريقيا وآسيا فقد كانتا من نصيب البرتغال.
- (٦) Keltic, J. Scott: The Partition of Africa (London 1895) p.10
- (٧) Coupland, R.: East Africa and Its Invaders (London 1959) p.155
- (٨) لمن يريد تفاصيل كاملة عن هجرة العرب من شبه الجزيرة وساحل الخليج العربي الى شرق افريقيا ونشاطهم هناك يرجع الى:
شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (١٩٨٠) ص ٤٥ وما بعدها.
- (٩) Macmillan, W.: Africa Emergent (London 1919)
- (١٠) قيل إن أول مسلم هاجر الى هذه المناطق المحيطة بالحبشة واستقر بها هو ود بن هشام المخزومي وكان ذلك أيام خلافة عمر بن الخطاب - انظر:
زاهر رياض: تاريخ اثيوبيا (١٩٦٦) ص ٥٦.
- (١١) Trimingham, Spencer: Islam in Ethuopia (London 1952) p.86
- (١٢) المقرئزي : الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الاسلام
(نشرة د. رنك ، ص (٣٠).
- (١٣) عن هذه السلطنات أو الممالك الاسلامية وامتدادها أنظر: شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر الجزالي .
- تحفة الزمان أو فتوح الحبشة . (نشرة رينيه باسيه - باريس ١٨٩٧ م).
- (١٤) أول ملوك البيت السليماني في الحبشة يدعى (يكون أملاك)، وقد حكم من ١٢٢٧ الى ١٢٨٥ م بعد سقوط الأسرة الزغوية التي كانت تحكم الحبشة.
- (١٥) دير السلطان - سمي بهذا الاسم نسبة الى السلطان صلاح الدين الأيوبي لأنه بعد أن

استولى المسلمون على الدير أثناء الحروب الصليبية - حافظ صلاح الدين على الدير، وأمن رهبانه على حياتهم، وسمح لهم بالعيش ومزاولة نشاطهم كالمعتاد - أنظر: ستيفن روبسمان: تاريخ الحروب الصليبية.
(ترجمة د. السيد الباز العريني) ج ٢ ١٩٦٨ ص ٨١.

Duffy, games : Op. cit. P.28 (١٦)

(١٧) لمزيد من التفاصيل عن هذا الصراع البرتغالي العربي في موانئ شرق إفريقيا يرجع إلى: شوقي الجمل: مرجع سابق ص ١٧٤ وما بعدها.

(١٨) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور (تحقيق محمد مصطفى).
(القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٣) ح ٤ ص ٨٥.

(١٩) ابن أبياس: مرجع سابق ح ٤ ص ١٤٢.

جزر كمران: تقع على بعد ثلاثة أميال من ساحل اليمن الشمالية وهي تابعة لليمن - ولمزيد من التفاصيل يرجع إلى:

- حمزة علي لقمان: تاريخ الجزر اليمنية (بيروت ١٩٧٢).

- شول. كانت تابعة لمملكة الدكن وهي تقع جنوب سلطنة كوجران.

(٢٠) كان ساحل الهند في ذلك الوقت مقسما إلى عدد من الوحدات السياسية الصغيرة على كل حاكم خاص. وقد اشتهرت عدد من الموانئ الهندية الهامة مثل كاليكوت، وكوشن، وكناتور، وكولوم.

(٢١) ابن أبياس: مرجع سابق ح ٤ ص ٨٤ وما بعدها. ولمزيد من التفاصيل يرجع إلى: أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام (القاهرة ١٩٧٢).

(٢٢) تشرش، ر. ج، هاريسون: الاستعمار الحديث (الأصل ١٩٥١) الترجمة العربية ص ٧.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى: بانينكار: آسيا والسيطرة الغربية

(ترجمة عبدالعزيز توفيق حامد - القاهرة ١٩٦٢).

(٢٤) عن الصراع بين الحبشة والممالك الإسلامية بالسهول المحيطة بها يرجع إلى المقريري: مرجع سابق.

(٢٥) أرنولد ويلسون: الخليج العربي، تاريخ الخليج من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين - (ترجمة عبدالقادر يوسف الكويت - ١٩٧٩) ص ٢١٢.

(٢٦) صالح أوزيران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي
(ترجمة عبدالجبار ناجي - البصرة - ١٩٧٩) ص ٧٩.

(٢٧) يحتفظ الأرشيف البرتغالي في لشبونة بالعديد من الخطابات المرسلة من نائب الملك - البوكيرك إلى الملك دون عمانوفيل، ونشر بالذات لخطابه المؤرخ ٢ ديسمبر ١٥١٣، والخطاب المؤرخ ١٢ أكتوبر ١٥١٤.